سلسلة الرسائل (٣٤)

مكة حرسها الله تعالى/١٤٤٤هـ

فوائد الآية

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾

للشيخة أم عبد الله بنت الشيخ
مقبل بن هادي الوادعي
حفظها الله تعالى

alwadei967.blogspot.com telegram.me/alwad3ya

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على رسوله ونبيه محمد الأمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

أيها الأخوات الحاضرات المنتظرات لأداء شعيرة الحج، أبشركن بما بشرنا به ربنا سُبحَانَهُ وَتَعَالَى ونبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قال الله تَعَالَى في كتابه الكريم: ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ٢٨﴾ [الحج: ٢٨].

ويقول النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَجَّ هَذَا البَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» رواه البخاري (١٨١٩)، ومسلم (١٣٥٠) عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ». رواه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩) عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ، وَالذَّهَبِ، وَالفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ المَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الجَنَّةُ»(١).

أيها الأخوات نذكر أنفسنا إن شاء الله في هذا اللقاء بشرح وفوائد آية تتعلق بالحج من سورة البقرة.

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧﴾ [البقرة: ١٩٧].

﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ﴾ نستفيد: أن أداء شعيرة الحج لها وقت وزمن محدود، وهي أشهر الحج ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩].

(١) رواه الترمذي (٨١٠) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وهو في «الصحيح المسند» (٨٧٥) لوالدي رَحِمَهُ الله.

وأشهر الحج وهي أشهر الإحرام ثلاثة: شوال، ذو القعدة، وذو الحجة، فهذه ثلاثة أشهر.

ونستفيد: أنه لو أحرم أحد بالحج قبل أشهر الحج أنه لا ينعقد إحرامه؛ لأنه في غير زمنه ﴿ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ ﴾.

كما نستفيد من الآية الكريمة: حث الحاج على تعلم مناسك الحج.

فيعتني في حجه ومنسكه بتعلم المناسك؛ لأن الله عَزَّ وَجَل لم يذكر هذه الأحكام إلا ليتعلمها الحجاج ويعملوا بها، وهذا فرض على كلِّ من أراد الحج أن يتعلم كيف يحج رجالًا ونساءً.

ونبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في حجة الوداع يقول: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ» رواه مسلم (١٢٩٧) عن جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وجابر بن عبدالله في صفة حجة النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ –حجة الوداع– يقول: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَكَثَ تِسعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ، ثُمَّ أَذَّنَ فِي

النَّاسِ فِي العَاشِرَةِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم حَاجٌّ، فَقَدِمَ المَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ، كُلُّهُم يَلتَمِسُ أَن يَأتَمَّ بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَيَعمَلَ مِثلَ عَمَلِهِ.

وهذا من مسابقة الصحابة إلى الخير، يقول جابر في أثناء الحديث: «وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ».

وقوله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ﴾ أي: ألزم نفسه بالحج، وهذا نستفيد منه أن من دخل في نسك الحج فقد ألزم نفسه بإتمامه، فليس له أن يتحلل، وكما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وقال سُبحَانَهُ: ﴿ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٢٩﴾ [الحج: ٢٩].

وسمى الله عَزَّ وَجَل أعمال الحج نذرًا؛ لأن من دخل في نسك الحج فقد ألزم نفسه، ولا يحل له أن يتحلل، ولهذا يقول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كُسِرَ أَوْ عَرِجَ فَقَدْ حَلَّ وَعَلَيْهِ الْحَجُّ مِنْ قَابِلٍ»[٢].

(٢) رواه أبو داود (١٨٦٢) عن الْحَجَّاجِ بْنِ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيَّ، وهو في «الصحيح المسند» (٢٩١) لوالدي رَحِمَهُ الله.

وهذا هو المحصر بمرض، أو حادث إذا قدر الله ذلك، أو احتاج له مريضه، فهذا يكون محصرًا وعليه الفدية.

والحديث مطلق ولكن يقيد بالأدلة الأخرى التي فيها أن على المحصر فدية، فالذي لم يستطع أن يتم النسك، مثلًا: مرض، أو احتاجه مريض، أو خاف من عدو ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ﴾، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في عمرة الحديبية في السنة السادسة لما خرج من المدينة ومعه هديه ومعه الصحابة، ولما وصل إلى الحديبية منعه كفار قريش وصدوهم عن الدخول إلى البيت وكانوا محرمين، فهنا ذبح النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هديه ﴿فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ﴾.

وإذا كان في نسك الحج واستطاع أن يتحلل بعمرة فيتحلل بعمرة، ويخرج من نسك الحج بعمرة.

وهكذا الذي يشترط عند دخوله في الإحرام، إذا اشترط وقال: اللّٰهم محلي حيث حبستني، فإذا جاء عارض مانع عن الإتمام فيخرج من الحج وليس عليه شيء،

والأصل أن الحاج والمعتمر إذا دخل في نسك الحج والعمرة فعليه أن يتم النسك ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ﴾.

وقوله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ فَلَا رَفَثَ ﴾ الرفث هنا: الجماع ومقدماته كالمباشرة والتقبيل والضَّمِّ.

ونستفيد: أن من محظورات الإحرام الجماع، فالمحرم لا يجوز له الجماع.

﴿وَلَا فُسُوقَ ﴾ الفسوق: المعاصي والبدع، وهذا من محظورات الإحرام، فالمحرم يجتنب المعاصي، لا كذب، ولا غيبة، ولا نميمة، ولا أذى، ولا غش، ولا عقوق والدين، وهكذا جميع أنواع المعاصي على الحاج أن يجتنبها حتى يرجع بحج مبرور إن شاء الله تَعَالَى.

وهذا يحتاج إلى مجاهدة كبيرة أن الحاج يحافظ على حجه من النقص والبطلان، والمعاصي حرام في كل زمان ومكان، ولكنها في حال الإحرام تكون أشد، واجتنابها أوكد؛ لهذا ذكرها الله في الآية من محظورات الإحرام.

والمعاصي شؤم وبلاء، ومن أسباب المصائب والنكبات، فإن ربنا عَزَّ وَجَل يقول في كتابه الكريم: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشورى: ٣٠].

غلاء الأسعار بسبب الذنوب، الفتن والمصائب بسبب الذنوب، قد تقول قائلة: أنا ما عندي ذنب، أيش فعلت؟ هذا خطأ، نحن موقرات بالذنوب، ولكن بسبب ضعف إيماننا لا ندرك ولا نستشعر بذلك.

قال الله تَعَالَى: ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣﴾ [الشرح: ٢-٣].

أي: أثقل ظهرك، وما يشعر الإنسان أن له ذنوبًا ومعاصي إلا إذا كان في قلبه تقوى وخوف من الله عَزَّ وَجَل.

وأذكر أن والدي رَحِمَهُ اللهُ سقط ذات مرة، فأصيبت يده فاسترجع، وحزنَّا وتألمنا له، فذكر قوله تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ۝٣٠﴾، وقال: هذا بسبب ذنوبي.

وهكذا بمناسبة ذكر الذنوب، تقول إحدانا لوالدي رَحِمَهُ اللهُ: يتكلم فيك بعض الناس، فماذا كان الجواب؟ فقال: لا يضر، ذنوبي أكثر.

فما فيه تفتيش عن القائل، ومَن تكلم وذكر العيوب والمساوئ.

ونحن إحدانا ربما تسأل وتتفاعل، وتصاب بالتوتر، دعيهم أختي في الله يتكلموا بما شاءوا، راقبي الله عَزَّ وَجَل، فالله عَزَّ وَجَل سيدافع عنك ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ

٣٥/فوائد الآية ﴿ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞ ﴾

ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الحج: ٣٨]. ولو جلس الإنسان بعد هذا وهذا لشغلوه وضيعوا وقته.

لو كل كلب عوى ألقمته حجرًا ❁ لأصبح الصخر مثقالًا بدينارِ

أخواتي في الله علينا أن نحذر من المعاصي، فالمعاصي لها أضرار وخيمة على النفس والأولاد، ولها ضرر كبير على الأسَر.

فعلينا أن نتوب إلى الله عَزَّ وَجَل ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور: ٣١]. ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾ ﴾ [هود: ٩٠]، وخاصة النساء فهُنَّ أكثر أهل النار، نسأل الله العافية. وإنما هذا بسبب معاصينا، ولا يظلم ربك أحدًا، روى البخاري (٣٢٤١)عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «اطَّلَعْتُ فِي الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ».

ولا نتهاون أو نحتقر أي ذنب حتى الذنوب الصغيرة، كما قال بلال بن سعيد: لَا تَنْظُرْ إِلَى صُغْرِ الْخَطِيئَةِ وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى مَنْ عَصَيْتَ. رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء»(٥/٢٢٣).

إن العاصي يعصي ربه الذي خلقه وأمدَّهُ وأعدَّه ورزقهُ.

ثم قال سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ﴾ وهذا من محظورات الإحرام، فالمحرم يترك الجدال والخلاف والخصام، يترك الحاج الجدال إلا الشيء اليسير في بيان الحق وإبطال الباطل، كما قال الله عَزَّ وَجَلَ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾[النحل: ١٢٥].

وكما اختلف الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم هل النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ صام يوم عرفة؟ فبعثت أم الفضل له بقدح لبن فشرب منه وهو على بعيره، واتضح الحق وفصل النزاع حينما شرب النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ اللبن، وأنه لم يصم يوم عرفة [٣].

كما نستفيد: أن الحاج يُفَرِّغ قلبه وينحي عنه الشواغل وما يشوش على فكره، فالجدال يوغر الصدور، ويشوش الفِكْر، ويشغل البال.

---

(٣) والحديث رواه البخاري (١٦٦١)، ومسلم (١١٢٣) عَنْ أُمِّ الفَضْلِ بِنْتِ الحَارِثِ، أَنَّ نَاسًا اخْتَلَفُوا عِنْدَهَا يَوْمَ عَرَفَةَ فِي صَوْمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ صَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَيْسَ بِصَائِمٍ، «فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ بِقَدَحِ لَبَنٍ وَهُوَ وَاقِفٌ عَلَى بَعِيرِهِ، فَشَرِبَهُ».

فأنت أختي في الله في أيام الحج ابعدي عن قلبك كلَّ الشواغل، دعيها لله عَزَّ وَجَل، فالأمور يتولاها الله عَزَّ وَجَل، وأفضل ما تقدمي لمن تقلقي عليهم الدعاء لهم في تلك الساعات الطيبة.

فهذا من آداب الحاج والحاجة تنحية الشواغل من القلب، حتى يتفرغ الحجاج لطاعة ربهم، وللتضرع والدعاء وإظهار الخشوع لله عَزَّ وَجَل.

ثم قال سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُ ﴾ فيه أن الله عَزَّ وَجَل يعلم أفعال العباد، والله يعلم كل شيء سُبحَانَهُ، والله بكل شيء عليم، ولكن نستفيد من هذا: ترغيب العباد على فعل الخير، فالله عَزَّ وَجَل مطلع على عباده وأعمالهم.

كما نستفيد منه أيضًا: تخويف العباد من المعاصي؛ لأن الله يعلم ما يعلمون، ويجهرون ويسرون، يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، فالله علمه محيط بكل شيء ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطَۢا ١٢٦ ﴾ [النساء: ١٢٦].

فقدِّمي لنفسِكِ في هذه الأيام المباركة الخير، فهي فرصة لك أيتها الحاجة، وهذه العشر القادمة من ذي الحجة استثمريها.

وهذا مكتوب عند الله، لن يضيعه سُبحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝٣٠﴾ [الكهف: ٣٠].

وإذا حفظت الله وتمسكت بشرعه ودينه فأبشري بالخير العاجل والآجل، و يحفظك الله عَزَّ وَجَل في مناسك حجك وفي حلِّك وترحالك، ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ۝١٣٢﴾ [طه: ١٣٢].

الجزاء من جنس العمل؛ نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»(٤).

وقوله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾ حث للحاج أن يأخذ معه نفقة السفر ومصاريف السفر، فالشرع حريص على العفة –عفة النفس–، وعدم التسول، وإراقة ماء الوجوه، ومد الأيدي للناس، أعاذني الله وإياكن.

النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ»(٥).

---

(٤) رواه الترمذي (٢٥١٦) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وهو في «الصحيح المسند» (٦٨٥) لوالدي رَحِمَهُ الله.

(٥) رواه البخاري (١٢٩٥) عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أي: يمدون أيديهم إلى الناس، هذه ذلة أن يسأل الإنسان المخلوق، ذلة ومهانة، ولقد ربى النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ صحابته على عفة النفس والقناعة، والنفس بطبيعتها وجبلتها الطمع في الدنيا، في الأموال، في العمائر والزخارف، هذه طبيعة النفس، عافانا الله من ذلك، النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لابْتَغَى ثَالِثًا، وَلاَ يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ» رواه البخاري (٦٤٣٦) عن ابن عباس، ومسلم (١٠٤٨) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

القناعة كنز، الناس ما يعرفون كنز القناعة، وهي: كنوز الأعمال الصالحة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولقد تباعدت الأرزاق بسبب أن النفوس تعلقت بالدنيا، ما تعلقت بالله الخالق الرازق، تعلقت بالدنيا، فعوقب الناس بتباعد الأرزاق، وشقت الأرزاق، وإلا فربنا عَزَّ وَجَل يقول: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ ﴾ [الطلاق].

ويقول النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ

عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ» رواه الترمذي(٢٤٦٥) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ» انظري عقوبة التنافس الدنيا، والأرزاق مكتوبة.

ومحادثة النساء ومجالسهم أغلبها في الدنيا في الملابس، في الذهب، في متاع البيت، محادثات دنيوية، وربما يقمن من المجلس ولم يذكرن الله عَزَّ وَجَل فيه، وهذا حسرة وخسارة، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ، إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةً»(٦).

فلا تغفلي عن ذكر الله عَزَّ وَجَل، فهذه حسرة، إذا كنت في مجلس اذكري الله عَزَّ وَجَل فيه، ولا تصغي وتتفاعلي مع القيل والقال، والغيبة والنميمة، واجلسي حيث تستفيدي، اجلسي في المجلس الذي يقربك من الله عَزَّ وَجَل ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[الْبَقَرَة: ٢٨١].

(٦) رواه أبو داود (٤٨٥٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو في «الصحيح المسند» (١٣٢٨) لوالدي رَحِمَهُ الله.

٣٥/فوائد الآية ﴿ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞ ﴾

فقوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾ يفيد: حث الحاج على أخذ الزاد معه ومصاريف الحج، وإذا لم يكن عنده نفقة الحج فهذا ليس بمستطيع.

كما نستفيد من أدلة أخرى: حث الحاج على تحري المال الحلال حتى يكون حجه حجًّا مبرورًا.

الذي يحج من مال حرام، من مال قات، أو من أموال رشاوى، أو من أموال ربوية، أو مسروق هذا لا يكون حجه مبرورًا.

فنفقة الحج تكون من مال حلال، وهي عند الله، فما نعتبر نفقة الحج خسارة، بل هي ربح؛ لأن الحاج يأتي تلبية لنداء الله عَزَّ وَجَل ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧ ﴾ [الحج: ٢٧]، فهي ربح، ونعم الربح!

فكوني أختي في الله طيبة النفس بذلك، والله عَزَّ وَجَل يخلف عليك ويعوضك بخير.

والخسارة أن تكون في غير مرضاة الله عَزَّ وَجَل، في الإسراف، وهكذا في الأشياء التي لا تنفع كصالات الأعراس، والملابس الفاخرة.

وقوله: ﴿فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ﴾ نستفيد: أن أفضل الزاد زاد التقوى، الناس يعرفون الزاد الطعام والشراب، التقوى هو الزاد بل أعظم زاد، وأعظم لباس ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ [الأعراف: ٢٦].

إذا المرء لم يلبس ثيابًا من التُّقى ❁ تقلَّب عريانًا وإن كان كاسيا

فما أعظم حِلْية التقوى! اللّٰهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

فهذه الآية فيها الحث على التقوى، والترغيب فيه، وأنه أفضل زاد.

ثم أمر سُبحَانَهُ وَتَعَالَى أمر وجوب بالتقوى، ﴿وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧﴾.

نسأل الله أن يجعلنا من المتقين، وأن ييسر لأخواتنا الحج، وأن يحفظهن في حلهن وترحالهن.

والحمد لله رب العالمين.

تم نشر هذه المحاضرة ولله الحمد والمنة.

يوم الخميس الموافق ١٩ / من شهر ذي الحجة / لعام ١٤٤٤ للهجرة النبوية

على صاحبها الصلاة والسلام.